«جَاءَهم نَصْرُنَا فَنُجِّي مَنْ نَشَاءُ»

ولذلك الملك أرسل الرسول من عنده إلى يوسف يسأله عن تعبير رؤياه، وقد أتاه الله تعبير الرؤيا، فكان يقصها ويفسرها ويعبرها، حتى يقول الحسن البصري. لابن سيرين: أراك تقص القصص كأنك من آل يعقوب، فقال ابن سيرين للحسن: أراك تفسر القرآن كأنك حضرت التنزيل، وهما عالمان جليلان من علماء البصرة مُحَدِّثان مشهوران، الشاهد أن هذه الأسرة أسرة تعبير للرؤيا يوسف بن يعقوب هو وأبوه يعبرون ويقصون، ذهب الرسول الذي قال له يوسف عليه السلام: ﴿**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾، لا تنس صحبة السجن الطويلة، إذا وصلت إلى الملك اذكرنا وتشفع لنا، علنا أن نخرج من هنا.

بعد أن قص الملك الرؤيا على الساقي كما مر بنا، أمره أن يذهب إلى السجن، ويسأله عنها، وصل الرسول إلى يوسف في السجن، لم يناده بالنبوة، قال بعض المفسرين: لأنه أحد احتمالين إما أنه لم ينبأ يوسف -عليه السلام- آنذاك في السجن، إنما كان صديقًا صالحًا عبدًا لله، ولم يكن نبيًا هذا احتمال، والأمر الثاني: أنه نبي ولكن الرسول والملك لم يعرفا أنه رسول ونبي من عند الواحد الأحد. الشاهد وصل إليه وقال ليوسف: أيها الصِّدِّيق قال

أهل العلم: مدحه بالصديقية وهي منزلة بعد النبوة مباشرة، فالله سبحانه ذكر أربع منازل لأوليائه، ووراث جناته، واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام، قال: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾، حشرنا الله وإياكم معهم، لهم أربعة أصناف أجلهم وأعظمهم أنبياء الله ورسله -عليهم السلام- ثم أهل الصديقية كأبي بكر الصديق، ثم الشهداء، ثم الصالحون.

قال ليوسف: أيها الصديق، يقول أهل العلم: كيف عرف أنه صديق؛ لأنه عاشره سبع سنوات في الحبس، فرأى صدقه وأمانته وأخلاقه، فناداه بهذا قال: ﴿أَفْتِنَا﴾، الآن عرض عليه الرؤيا مرة ثانية، برؤيا الملك الذي قال له الوزراء: إنها أضغاث أحلام؛ وهذه لا تدل على شيء؛ لأن الجاهل يأتيك بفتاوى مظلمة؛ لكن يأتيك الخبر اليقين الآن عند من يفسر الرؤى، قال: ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾، رآها الملك، السمان تأكل العجاف، قال ابن الجوزي في زاد المسير: قال بعض المفسرين: إن الملك رآها تخرج من البحر سمانًا تطاردها النحاف الضعاف، فتأكلها والله أعلم بهذه الرؤيا، يأكلهن سبع عجاف، يعني: ضعيفة تأكل سمينة، وسبع سنبلات خضر بجانبها، وأخرى يابسات، يعني سبع يابسات. ﴿لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، الناس ينتظرون فتوى منك، الملك متوقف الآن، مذهول استدعى الناس والوزراء، ولكنه لم يُفته أحدٌ منهم، كلهم ردوا بجهل، وقالوا: أضغاث أحلام، قال -عليه السلام-: تزرعون سبع سنوات، هنا إشكال عند بعض المفسرين ذكره ابن

الجوزي وغيره يقول: هل هذا من ادعاء علم الغيب؟ أن يوسف -عليه السلام- قال إنكم سوف تزرعون سبع سنين ويأتي سبع سنين شديدة أو قحط بعدها فتأكلها، هل هذا من ادعاء علم الغيب، أو يجوز هذا.

قالوا: على أحد احتمالين الأول: أنه جعله تحت مشيئة الواحد الأحد، فهو لا يقضي للناس إلا بما شاء الله، والثاني: أنه من باب الأمر، أنه قال: ازرعوا سبع سنين، وستأتي من بعدها سبع سنين، وهذا الأمر وارد، فلك أن تأمر في المستقبل، ولكن ليس لك أن تدعي الغيب.

قال: هنا تزرعون سبع سنين دأبًا، يعني: ازرعوها مستمرة لا تنقطعوا سنة عن سنة ولا فصلاً عن فصل، فإذا أكملتم زراعة سبع سنوات ﴿**فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ**﴾، الآن هو مرشح لأن يكون وزير الخِزَانة في مصر؛ لأن الله أعطاه من علم التخزين، فقال لهم: من الأفضل أن الحنطة تترك في سنابلها، وهو سيتولى الوزارة على الخزينة في مصر لعلم سابق من الله -عز وجل- وتهيئة، وكل هذه الأمور مهيأة من عند الواحد الأحد، حتى يصل إلى الملك والنبوة، ويحكم مصر، فالحب إذا بقي في سنبله لا يصيبه السوس ولا ينتهي بل يبقى بإذن الله، قال: ﴿**فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ**﴾، أما للاستهلاك فلكم أن تطحنوه وتأكلوه، وأما الذي تخزنوه فاتركوه في السنبل؛ لأنه لن يتغير على مر الأزمان، وهذه قضية معروفة عند أهل الزراعة، وأهل العلم، لكن

الله عَلَّم يوسف، فانظر إلى تعليم الله، علمه الرؤيا وهو في الزنزانة، وعلمه سرّاً من أسرار الزراعة وهو في الزنزانه، حتى يقول العلماء في الزراعة: إن بقاء الحبة في السنبلة أعظم من كل المواد الكيماوية التي يمكن أن تضاف إليها، ولكن الله اطلع العبد، واتقوا الله ويعلمكم الله.

فأمرهم يوسف -عليه السلام- أن يتصرفوا بالحب والسنبل قدر حاجتهم، خذوا من السنبل، واتركوا الباقي في الخزينة في سنبله، ﴿**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾، الآن خوفهم بسبع شداد ضراء تعقب السراء التي لابد للعبد أن يتعاودها في حياته، لابد للعبد أن يمر في فقر وغنى في الأرجح، وهَمٍّ وسرور وصحة ومرض، ولكن بعد كل شدة سوف يأتي بعدها الفرج، وسوف نتحدث عن ذلك. ثم يأتي من بعد ذلك، سبع شداد، يعني: سبع سنوات قحط، يأكلن، يعني: السنوات ما فيها، تأكل ما قدمت لهن، مما زرعتم ومما خزنتم ﴿**إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ**﴾ إلا قليلاً مما ادخرتم وكنزتم، وسوف تنفعكم في أيام القحط، وسوف تأكلون منه، وسوف تنفقون منه، وهذا الذي سوف يحصل بإذن الله.

يقول بعض أهل العلم: سُئِل يوسف -عليه السلام- في الرؤيا عن سبع وسبع فقط، لكنه أضاف سنة من علم الواحد الأحد، هو لم يسأل ماذا بعد السبع والسبع، هو سئل عن سبع بقرات سمان، وسبع عجاف، وخضر ويابسات في السنابل، لكنه زاد سنة من عنده، قالوا: أطلعه الله بعلم على ذلك ﴿**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾، أما العام هذا فهو عام الرخاء بعد السبع الشداد سوف

يأتي الله -سبحانه- بعام المطر والغيث، وسوف يغاث فيه الناس ويُمطَرون ويعصرون التوت والزبيب والسمسم، وفي بعض الألفاظ التي ذكرها صاحب زاد المسير وغيره قال: والصحيح يحلبون، وقال: ينتهون إلى أنهم سوف يعصرون الزبيب والسمسم والذرة في ذلك العام من كثرة الخير فيه. والحسن، قال: يحلبون فيلحق في ذلك الأنعام أنها تنعم وتسمن ويأتي فيها حليب.

رجع الرسول إلى الملك وأخبره بتفسير هذه الرؤيا الصحيحة، فالوزراء والحاشية قالوا: لم نفهم منها شيئًا إنما هي أضغاث أحلام، لكن الساقي هذا أتى بتفسيرها نصّاً وحقيقة ويقينًا من عند الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ**﴾، لأن تعبير الرؤيا رَغَّب الملك فيه؛ ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «**رحم الله أخي يوسف لو كنت مكانه لأجبت الداعي**» تواضعًا منه عليه الصلاة والسلام، لكنه من ثباته ويقينه قال: لا، جاء الرسول يسعى إلى فتح الباب، قال: الملك يناديك اخرج، قال يوسف: لا لن أخرج، يقول العلماء: انظر إليه في جانب تبرئته في عرضه، ثبت وفي جانب الخروج، قال: اذكرني عند ربك، لا تنس تآخينا في السجن، وبيننا ذكريات طيبة، فلما جاء هنا قال: لا لن أخرج، قال ائتوني به: يعني: اسحبوه وأحضروه، فلما جاء الرسول، ﴿**قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ**﴾، يقول: والله لن أخرج السجن، قال: ارجع إلى الملك، ﴿**فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ**﴾؟ لماذا أنا سُجِنْتُ، إنْ كنت متهمًا ولم تثبت التهمة عليَّ، فأنا أصغر

من أن أعترض على الحق، وإن كنت مظلومًا فأخبروني أنني مظلوم، معاناتي وحبسي واضطهادي وظلمي وقطيعتي من أهلي وأبي، ومن جيراني يضيع هكذا هباءً، لن أخرج على رغبة الملك فقضيتي قضية عادلة، إن كنت حبست بالظلم والعدوان فأخبروني، وإن كنت ظالمًا فأنا أستأهل الحبس، هذا معنى الكلام، وقد فسره بعض الأدباء وذكروا ذلك، لكنه التزم الكلام المشهور، قال: ﴿**ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ**﴾، أولاً: اجمع النساء الكائدات، واسألهن لماذا وضعنني في هذا المأزق، ﴿**فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾، يقولون: لم يذكر امرأه العزيز احترامًا للمشاعر، وإلا هي التي ورطته في الحبس، واللاتي قطَّعن أيديهن حضرن في الحفل، لكن انظر هذا الذكاء، ﴿**قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ**﴾؟ لماذا تآمروا عليَّ، هل أنا فعلت ذلك؟ إما أن تأتي براءتي على رأس الملك والدولة، وإلا سأبقى، جاء الملك فجمع امرأته والنساء و﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ**﴾ أخبروني بالقصة الآن يوسف رفض أن يخرج فأخبروني هل الرجل ظالم أبقيناه في السجن، أو أنه مظلوم أخبروني، هل روادتن يوسف عن نفسه؟ يقول الملك: لماذا راودتن يوسف؟ قيل: وإنه بلغ عنده من القرائن والاحتمالات ما بلغ لديه أنهن راودن يوسف عن نفسه، قال: أخبروني أنا أرى في نفسي أنكن راودتن يوسف، ولذلك أخبرتكن، قال الملك: إذًا راودتن يوسف عن نفسه خاطبهن جميعًا، ولم يوجه الخطاب لامرأته العزيز رفعًا للتهمة ودرأً لها، والقرآن دائمًا يأتي باللين والرفق وأحسن الأساليب للنفس البشرية.

﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾، يعني: معاذ الله، قالوا: نبرأ مما نسب إليه، فوالله إنه بريء، والآن أتت البراءة وانطلقت من قصر الملك الذي انطلقت التهمة منه ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ وإنما لم يذكر الفاحشة، بل ذكر مقدمات الفاحشة ليقطع الكلام من أصله، فقالوا: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ لا غزل ولا تهمة ولا إرخاء بالكلام ولا خيانة في اللفظ، إنما كان صديقًا بريئًا تقيّاً طاهرًا ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾، وهنا قال: من سوء (بالتنكير) لتشمل كل السوء، ولتفصل أي فرد من أفراد العموم، أي تنفيه كما دل عليه ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ معاذ الله، إنه لم يكن سيئًا، ولم يفكر في الفاحشة ولم تبدر منه، وإن الخطأ من النساء، الآن امرأة العزيز سوف يكون لها موقف، وتريد أن تبرئ ذمتها أمام الله ثم التاريخ، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾، أي: ظهر الحق الآن، ظهر البيان، الآن أتت شهادتي أمام الله، وأمام العالم وفي قصر الملك، وفي التاريخ الآن حصص الحق. أنا راودته عن نفسه، الآن سوف ننتهي من هذه التهمة التي شيبت الرؤوس، وأزعجت كل الناس، التي أساءت لكل مؤمن، لكن أتى هذا البيان لهذا النبي الرسول -عليه الصلاة والسلام-. قالت: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾، قالوا: بعد هذه الكلمة لم يصبها إلا خير فإن الله -سبحانه- أجرى على لسانها خيرًا بعد ما قالت هذه الكلمة. يقول بعض المعاصرين: إن الملك لم تكن عنده غيرة شديدة؛ لذلك سوف يبقيها اتركوا الموضوع ولا تكرروه مرة ثانية، والقرآن لم يأت بالتفاصيل، ولم يقل: طلقها، أو غضب عليها، قالت امرأة العزيز: أنا راودته عن

نفسه، وإنه لمن الصادقين في كلامه، إنه مظلوم ومتهم وإنه ما هَمَّ بالفاحشة، ويقول بعض المفسرين: يقول يوسف: ليعلم الملك أني لم أخنه بالغيب في غيابه وفي قصره. كذا قال ابن تيمية، وهذا خطأ يخالف السياق بالدليل والكلام، والصحيح أنه من كلامها هي؛ لأن ابن تيمية كتب في مجلد التفسير، وطال النفس في ذلك، لأنه لا يترك شاردة ولا واردة ولا فتحًا من الفتوحات التي أعطاه الله، إذًا قائل الكلام: هي، وهي لغة العرب تقول: ليعلم أنه لم أخنه بالغيب، ليعلم يوسف في السجن أنني حاضرة هنا، وهو غائب في السجن أنني لم أخنه بالغيب، هذا من قول امرأة العزيز، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين.

يقول ابن تيمية: تقول هي: وما أبرئ نفسي مما وقع مني، وهو حب الفاحشة ومراودته، وإغلاق الباب. ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾،

قال: ﴿**إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾، قالت: إن الله رحم ولطف ولم تقع منا الفاحشة، وقيل في العموم ﴿**إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾ من قهر نفسه وردها عن هواها وأعرض عن مبتغاها فرحمه الله برحمته سبحانه وتعالى.